جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الدراسات العليا / الدكتوراه / أصول الدين

المادة : العقيدة

المرحلة : الدكتوراه / أصول الدين

اسم التدريسي: أ.د. سعد فتح الله عمر حسين

المحاضرة الأولى: التوحيد

اولا:- التوحيد لغة:-

قيل: ان المراد به "الحكم بان الشيء واحد والعلم بانه واحد".[١]

وقيل :-التوحيد-يعني:-شهادة لا اله الا الله بالقلب واللسان.[٢]

ثانيا:- التوحيد اصطلاحا:-

اعطى العلماء للتوحيد تعريفات عدة فعرف بانه "تجريد الذات الالهية عن كل ما يتصور في الافهام ويتخيل في الاوهام والاذهان، وهي ثلاث اشياء:-معرفة الله تعالى بالربوبية، والاقرار بالوحدانية ،ونفي الانداد عنه جملة".[٣]

وقيل: "التوحيد هو عبادة الله وحده لا شريك له ،وان لا نعبده الا بما احبه وما رضيه، وهو ما امر به وشرعه على السن رسله "صلوات الله عليهم" فهو متضمن لطاعته وطاعة رسوله وموالاة اوليائه، ومعاداة اعدائه ،وان يكون الله ورسوله احب الى العبد من كل ما سواهما".[٤]

وعرفه الشيخ محمد بانه "اثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الاكوان، وانه وحده مرجع كل كون، ومنتهى كل قصد".[٥]

مما تقدم نستطيع ان تعرف التوحيد بانه افراد الباري-عز وجل-بالخلق والايجاد مع اخلاص العبادة له وحده، وترك عبادة ما سواه.

ثالثا:-اهمية التوحيد للعباد

للتوحيد اهمية كبيرة في حياة الناس " فهو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الاولى والاخرة ،فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين فان الله لا يغفر ان يشرك به".[٦]

---

[١] (التعريفات:-لعلي بن محمد علي الجرجاني ٩٦/١-ط١-دار الكتاب العربي-بيروت-١٤٠٥هـ-تحقيق ابراهيم الانباري-ورسالة في التوحيد والفرق المعاصرة-لكمال الدين عبد المحسن الطائي-ص،٥ مطبعة سلمان الاعظمي-بغداد-١٣٢٩هـ-١٩٧٢م.

[٢] (ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد-لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٤٩٢/١-مكتبة الرياض الحديثة-الرياض.

[٣] (التعريفات-لعلي الجرجاني: ٩٦/١.

[٤] (كتب ورسائل وفتاوي ابن تيمية في العقيدة-لابي العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ٣٧٨/١٤-مكتبة ابن تيمية.

[٥] (رسالة التوحيد-للشيخ محمد عبدة-ص٤،ط١٧-دار المنار-بمصر-سنة ١٣٧٦هـ.

لهذا نرى ان التوحيد شأن كبير، واهمية عظمى ،فهو يعتبر الركن الركين، والاساس المتين الذي تبنى عليه اركان ودعائم الاسلام، لذلك نرى ان الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ظل يدعو قومه الى التوحيد مدة كبيرة من الزمن، عمرها ثلاثة وعشرون سنة.

قال الدكتور. محمد الطنطاوي: "ليس في هذا الوجود الا خالق ومخلوق، والخالق هو المبدع منزل الشرائع، ومالك السموات والارض، وخالق الاشياء كلها، والقادر على الضر والنفع، والاحياء والاماتة والبعث والنشور، والمخلوق –هو العاجز الموجود من قبل خالقه الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا، فكان بأمس الحاجة الى الخالق، واذا كان الخالق وهو الله تعالى هو المالك الموجد الرازق، والمخلوق هو المحتاج الفقير الى ربه ،كان لابد له من الاذعان لخالقه في عبادته وحده لا شريك له، وانه لا معبود بحق في الوجود سوى الله سبحانه".[٧]

وعلى هذا –يجب على كل موحد ان لا يرى الا الله الواحد الاحد، ولا يوجه وجهه الا اليه[٨]،وهو امتثال لقوله تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)[٩].

ويجب ان يكون معدن التوحيد ومنبعه القلب ولي اللسان، لان اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب اخرى، والقلب هو اصل التوحيد الثابت.[١٠]

---

[٦] (كتب ورسائلوفتاوى ابن تيمية في العقيدة–لابن تيمية ٣٧٩/١٤.

[٧] (التفسير الوسيط للقرآن الكريم–الدكتور.محمد السيد طنطاوي،ص١٧٧٧–مطبعة السعادة بمصر–١٩٨٥م.

[٨] (ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن–لمحمد عبد العظيم الزرقاني ٣٥/٢ –دار الفكر –بيروت–ط١،١٩٩٦م تحقيق مكتب البحوث والدراسات.

[٩] (الفاتحة،الاية٤.

[١٠] (ينظر: جامع العلوم والحكم–لابي الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي ٤٦/١–ط١،دار المعرفة–بيروت–١٤٠٨هـ.

آيات الوحدانية:

بسم الله الرحمن الرحيم

(تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا* الذي له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا* واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا)[١١].

اولا:- عظمة الخالق، وتفرده بالوحدانية

في فاتحة هذه السورة يصف الحق تعالى نفسه بالجلال والجمال والكمال، والتنزيه عن صفات النقصان، في قوله سبحانه : (تبارك) ومعناه:-هذا بيان لعظمة الله سبحانه وتعالى ، وتفرده بالوحدانية في كل وجه، وكثرة خيراته واحسانه ،فقال: "تبارك" أي تعاظم وكملت اوصافه، وكثرت خيراته.[١٢]

و"تبارك" صفة خاصة بالله تعالى لا تستعمل الا لذاته، فسبحان الله.

قال ابن عباس: "تبارك" تفاعل من البركة، ومعنى البركة الكثرة من كل ذي خير.[١٣]

وقيل: "تبارك" ، تعالى عطاؤه أي زاد وكثر، والمعنى دام وثبت انعامه.[١٤]

وقال ابو السعود: "البركة: النماء والزيادة حسية كانت او معنوية، وكثرة الخير ودوامه ايضا".[١٥]

والبركة، هي الثبات، واصله من البركة، والبروك وتبارك مبالغة في معناها ،ولا تستعمل الا لله.[١٦]

وقيل ان لفظة "تبارك" ، لا تستعمل الا لله سبحانه وتعالى[١٧].

---

[١١] (الفرقان:الايات (١-٢-٣).

[١٢] (ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن-لابي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ١٨/١٧٩-١٨٠،دار الفكر-بيروت-١٤٠٥هـ.

[١٣] (ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور-للامام جلال الدين السيوطي٦/٢٣٥-دار المعرفة-بيروت.

[١٤] (ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن-للطبري١٨/١٧٩-وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير-للقاضي محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليماني ٤/٦٠،ط١-١٣٥٠هـ.

[١٥] (ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم-للقاضي الامام ابو السعود محمد بن محمد العمادي٤/٧٦-مطبعة محمد واولاده – بمصر.

[١٦] (ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين-لطاهر بن محمد الاسفراني ،١/١٥٥-ط١-١٩٨٣م.

و(تبارك الذي) أي وصف نفسه ،ولا يليق الا به سبحانه ، لما فيه من معنى الكبرياء.[١٨]

وهكذا يتبين ان لفظة "تبارك" خاصة بالله تعالى، وتعطي معنى العظمة والزيادة في الخير والدوامية في العطاء.

ثانيا:-تنزيل القرآن الكريم، وتسميته فرقانا.

١. تنزيل القرآن

قوله تعالى: (تبارك الذي نزل الفرقان) [١٩]،قلنا ان معنى تبارك تزايد خير الرحمن وكثرت بركاته ونمه فمن الخيرات والنعم التي افاضها الرحمن على امة حبيبه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) انزال كتابه الذي هو الفرقان، الذي فرق به بين الحق والباطل وبين الحلال والحرام، واخرج العباد من الظلمات الى النور .فتبارك الذي نزل الفرقان.

وقوله (نزل) فعل من التكرار والتكثير والتضعيف، لان القرآن الكريم نزل منجما[٢٠] والكتب الالهية السابقة أُنزلت جملة واحدة، لقوله تعالى مخاطبا فيه سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) : (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل)[٢١]، ففي الآية الكريمة جاءت لفظة (نُزلَ) بالتكثير والتضعيف، وجاءت (أنزل) لا تدل على التكثير والتضعيف، فالآية الكريمة تدليل واضح على ان القرآن الكريم انزل متفرقا ،والتوراة والانجيل انزلا جملة واحدة [٢٢].

ويرى العلماء ان نزول القرآن الكريم منجما على رسول الله محمد ﷺ له فوائد وحكم، فمن هذه الفوائد والحكم:

---

[١٧] (ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور-لجلال الدين السيوطي ، مصدر سابق،٦/٢٣٥ وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- لمحمد الشوكاني ٤/٦٠.

[١٨] (ينظر: قطف الثمر في بيان عقيدة اهل الاثر-لمحمد صديق خان القنوجي١/١٣١-ط١-١٩٨٤م.

[١٩] (الفرقان الاية:١.

[٢٠] (منجما: أي مفرقا، أي القرآن الكريم كان ينزل على الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في اوقات مختلفة دامت لاكثر من عشرين سنة،والقرآن الكريم يختلف انزاله عن انزال الكتب الالهية السابقة-ينظر:-البرهان في علوم القرآن-لابي عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي-١/٢٣٠-دار المعرفة-بيروت-١٣٩١-تحقيق:محمد ابو الفضل ابراهيم-ومناهل العرفان في علوم القرآن-لمحمد عبد العظيم الزرقاني ١/٣٤-٣٥-دار الفكر-بيروت-١٩٩٦،ط١-تحقيق:مكتب البحوث والدراسات.

[٢١] آل عمران-الاية:٣٠.

[٢٢] ينظر: تفسير اضواء البيان ،تفسير القرآن بالقرآن-لمحمد الامين بن محمد المختار الشقيطي ت٦/٢٦٤-مطبعة عالم الكتب- بيروت-لبنان.

اولا:-تثبيت قلب الرسول ﷺ والمؤمنين ،والعون على حفظه،لان الرسول محمد ﷺ كان اميا،والمؤمنين ايضا، فلو نزل القرآن جملة واحدة لصعب عليهم ضبطه، ولكن حكمة الباري -عز وجل- جعلت انزاله متفرقا ليسهل عليهم حفظه وضبطه.

ثانيا:-تقوية عزيمة الرسول ﷺ ضد التحديات والاذى الذي يلاقيه من قومه ،لان مشاهدة الرسول ﷺ لجبريل (عليه السلام) وقتا بعد وقت يقوي عزيمته ،ومتابعة جهاده.

ثالثا:-دفع الحرج عن المكلفين،فلو طولب العباد بتحمل اعباء الشريعة دفعة واحدة، لاصبح تنفيذه امرا صعبا وفيه حرج ومشقة.[٢٣]

رابعا:-مراعاة مبدأ التدرج في التشريع-فلو طلب من العباد بالاقلاع عن العادات والمبادئ التي كانت راسخة فيهم "بشكل خاص عند العرب" لامتنعوا لرسخها فيهم،فكان من الحكمة ان ينزل القرآن الكريم منجما، ويتدرج في الاحكام من مرحلة الى اخرى، تتهيأ بها النفوس لقبول الحكم النهائي.

خامسا:-معالجة الوقائع والطوارئ والاحداث واجابة الاسئلة بما هو الانسب والاوفق، لانه نزوله بهذا الوجه احكم واحسن، لانه نزول القرآن عند وقوع الاحداث والاسباب،يكون له واقع عظيم في قلوب المؤمنين، ويكون ابلغ من انزله جملة واحدة قبل وقوع الاحداث والاسباب،ثم يذكر به عند وقوعها.[٢٤]

فهذه بعض الفوائد والحكم الربانية في انزال القرآن الكريم منجما،وهذا الانزال له فوائده في تربية هذه الامة،كما يقول السيد قطب رحمه الله: (جاء ليربي امة،وينشئ مجتمعا ويقيم نظاما،والتربية تحتاج الى زمن والى تأثر وانفعال بالكلمة، والى حركة تترجم التأثير والانفعال الى الواقع،والنفس البشرية لا تتحول تحولا كاملا شاملا بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج الجديد).[٢٥]

وقد اتفق علماء المسلمين على ان منزل الفرقان من الباري عز وجل الى خاتم المرسلين سيدنا محمد ﷺ هو امين الوحي جبريل (عليه السلام) ،وقد ثبت ذلك في الكتاب والسنة:-

---

[٢٣] (ينظر: التفسير الكبير، للامام محمد فخر الدين بن ضياء الدين عمر الرازي، ٢٤/٧٩-ط٢-دار الكتب العلمية-طهران،والاتقان في علوم القرآن-لشيخ الاسلام عبد الرحمن السيوطي الشافعي ٢/٤٤-طبعة دار المعرفة-بيروت.

[٢٤] (ينظر: التفسير الكبير،للرازي،٢٤/٧٩، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج-للدكتوروهبة الزحيلي-المجلد العاشر١٩/٦٣-٦٤-ط٢-دار الفكر-دمشق-٢٠٠٣م.

[٢٥] (في ظلال القرآن-لسيد قطب ٦/١٥٩-ط٧-دار احياء التراث العربي-بيروت-١٩٧١م.

فمم الكتاب:-

قوله تعالى (نزل به الروح الامين* على قلبك لتكون من المنذرين)[٢٦]

وقوله تعالى (رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق).[٢٧]

وقد اتفق العلماء على ان الروح الامين والروح هو الملك جبريل (عليه السلام)[٢٨].

ومن السنة النبوية:

ورد لفظ الناموس واريد به الوحي الذي كان ينزل به جبريل (عليه السلام) على جميع الانبياء-عليهم الصلاة والسلام-وذلك ما اخبرت به ام المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عن ورقة بن نوفل، في امر النبي ﷺ بداية نزول الوحي قوله: (.....هذا الناموس الذي نزل الله على موسى).[٢٩]

ولما رواه عكرمة بن خالد عن الرسول محمد ﷺ قوله (....فأما جبريل فصاحب الحرب وصاحب المرسلين....).[٣٠]

فمما تقدم يتبين لنا ان امين الوحي ومنزل الفرقان الواسطة بين الله تعالى وانبيائه وخاتمهم سيدنا محمد ﷺ هو سيدنا جبريل (عليه السلام) .

وجاء في تفسير روح المعاني: ان الانزال كما يضاف الى الرسول الكريم محمد ﷺ يضاف الى امته، لقوله تعالى: (لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون)[٣١]، ويوضح الالوسي في هذا الموضوع ان نزول هذا القرآن الكريم لاجل هذه الامة وان كان انزاله على النبي محمد ﷺ لانه نزل لاجلهم،فلهذا يضاف الانزال ايضا الى امة الحبيب محمد ﷺ.[٣٢]

---

[٢٦] (الشعراء: الايتان:١٩٣-١٩٤.

[٢٧] (غافر:الاية ١٥.

[٢٨] (ينظر: كتب ورسائل وفتاوي ابن تيمية في العقيدة –لابي العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني١٧/٢٦٣-مكتبة ابن تيمية والدر المنثور في التفسيربالمأثور-للامام جلال الدين السيوطي ٦/٣٢١-ومناهل العرفاان في علوم القرآن-لمحمد الزرقاني ١/٣٥-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-للعلامة ابي الفضل شهاب الدبين ابو الثناء الالوسي البغدادي ١٩/١٢٠-طبعة دار احياء التراث العربي-بيروت.

[٢٩] (صحيح البخاري-بحاشية السندي-جزء من حديث-١/٧-مطبعة دار الفكر –بيروت-بغداد-لسنة ١٩٨٦م.

[٣٠] (مسند احمد بن حنبل-لاحمد بن حنبل الشيباني-جزء من حديث-١/٢٧٤-مؤسة قرطبة –مصر.

[٣١] (الانبياء:الاية ١٠.

[٣٢] (ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-للعلامة ابي الفضل شهاب الدين الالوسي ١٨/٢٣١.

٢. تسمية القرآن فرقانا:

لقوله تعالى (الفرقان) "والفرقان" هو القرآن الكريم ،الذي انزله الله تعالى على سيد المرسلين وخاتمهم محمد ﷺ، وهو من اعظم خيرات الرحمن ونعمه على عباده،ان نزل هذا القرآن الفارق بين الحلال والحرام ،والهدى والضلال،واهل الشقاء من اهل السعادة.[٣٣]

وتسمية القرآن الكريم "فرقانا"، لانه في هذه السورة فرق بين اهل الحق والباطل، كما يقول العلماء ، ومن اقوالهم:

قال قتادة[٣٤]: (هو القرآن فيه حلال والله وحرامه وشرائعه ودينه فرق الله به بين الحق والباطل).[٣٥]

وقيل: (لانه فرق بين الحق والباطل والهدى والضلال والعي والرشاد والحلال والحرام).[٣٦]

وقيل: (تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل فصلا بعد فصل وسورة بعد سورة).[٣٧]

وقيل : (القرآن سمي فرقانا لانه يفرق بين الحق والباطل باحكامه او بين المحق والمبطل).[٣٨]

وقيل : سمي فرقانا لانه فرق بين الحق والباطل.[٣٩]

---

[٣٣] (ينظر: تيسير الكريم الرحمن–للشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي،ص٧٨٧ط٥–جمعية احياء التراث الاسلامي–الضاحية–الكويت–١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

[٣٤] (قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي،الحافظ العلامة البصري الضرير،الاكمه ،المفسر، كان رأسا في العربية وايام العرب والنسب، توفي بالطاعون (سنة ١١٨هـ) ينظر: طبقات المفسرين –للحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي ٤٧/٢–ط١–دار الكتب العلمية–بيروت–١٩٨٣م–راجعه:–لجنة من العلماء.

[٣٥] (الدر المنثور في التفسير بالمأثور–للامام جلال الدين السيوطي ٢٣٥/٦.

[٣٦] (تفسير القرآن العظيم–للامام ابي الفداء اسماعيل ابن كثير القريشي الدمشقي ٣٠٩/٣–ط١–دار الجيل–بيروت–١٩٨٨.

[٣٧] (جامع البيان عن تاويل آي القرآن–للطبري١٧٩/١٨.

[٣٨] (تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير –لمحمد الشوكاني ٦٠/٤.

[٣٩] (زاد المسير في علم التفسير–للامام ابي فرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ٧١/٦–ط١–المكتب الاسلامي للطباعة–١٩٦٥.

وقيل ايضا: يجوز ان يكون الفرقان اسم لكل منزل،كما في قوله تعالى (ولقد آتيانا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين)،[٤٠] او سمي "فرقانا"،لانه فرق وفصل بعضه على بعض في الانزال،كما في قوله تعالى (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا). [٤١] [٤٢]

ونختم الاقوال –بقول الامام القرطبي رحمه الله في معنى الاية، حيث قال : جاء في تسمية الفرقان ، وجهان:

احدهما:–لانه فرق بين الحق والباطل،والمؤمن والكافر.

ثانيهما:–لانه فيه بيان ما شرع من حلال وحرام.[٤٣]

ثالثا:–تشريف النبي ﷺ بالعبودية والدعوة:–

خاطب القرآن الكريم الرسول محمد ﷺ بالعبودية تشريفا له ولمنزلته فقال سبحانه وتعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا).[٤٤]

وقوله تعالى (على عبده)[٤٥]،اتفق المفسرون سلفا وخلفا على ان المراد من قوله تعالى (عبده) هو سيد المرسلين محمد ﷺ الذي كمل مراتنب العبودية وفاق جميع المرسلين.[٤٦]

و (على عبده) هنا جاءت صفة مدح وثناء وتشريف لسيدنا محمد ﷺ لانه اضافة الى عبوديته.

"ونظير الاية ،قوله تعالى في فاتحة سورة الكهف :(الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا* قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون

---

[٤٠] (الانبياء: الاية ٤٨.

[٤١] (الاسراء: الاية ١٠٦.

[٤٢] (ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج–للدكتور وهبة الزحيلي ٨/١٩.

[٤٣] (ينظر: الجامع لاحكام القرآن–لابي عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ٢/١٣–مطبعة المكتبة الاسلامية،القاهرة–١٩٦٧م.

[٤٤] (الفرقان:الاية ١.

[٤٥] (ذكر اهل العلم في البلاغة:في قوله (على عبده) قالوا:اضافة عبد الى الله لتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتكريمه ،فلم يذكر باسمه الشريف،وانما لفظة اختارها "عبده" تقريبا له وتشريفا وتكريما.ينظر: التحرير والتنوير–للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور٣١٧/١٨–طبعة دار الجماهير للنشر والتوزيع –تونس،وصفوة التفاسير–لمحمد علي الصابوني–القسم العاشر،ص٣٩–دار القرآن الكريم–بيروت–١٩٨١م.

[٤٦] (ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن–للطبري١٧٩/١٨–والجامع لاحكام القرآن–للقرطبي٢/١٣وتفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير–لمحمد الشوكاني ٦٠/٤.

الصالحات ان لهم اجرا حسنا)[٤٧]، وتكرار كلمة (عبده) في الايتين مدح للنبي ﷺوثناء عليه، للاشارة الى كمال عبوديته في منزلة الخلق والسلطان.[٤٨]

وقد ذكره الباري عز وجل:-باتم العبودية في اشرف مقاماته وافضل احواله ، كمقام الدعوة والتحدي والانزال والقرآن:-

فقد وصفه تعالى في مقام الدعوة،فقال (وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا).[٤٩]

ووصفه الخالق العظيم في اشرف احواله في ليلة الاسراء،فقال : (سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله من آياتنا انه هو السميع البصير).[٥٠]

وكذلك وصفه عند انزال الكتاب عليه ونزول الملك اليه، فقال: (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا).[٥١]

فهذه الايات الكريمة تبين:- ان حكمة الخالق العظيم -عزوجل- تفضيل آدم وبنيه على كثير ممن خلق تفضيلا بان جعل عبوديتهم اكمل من عبودية غيرهم.[٥٢]

وقوله تعالى : (ليكون للعالمين) ، قوله (ليكون) المراد به هو سيدنا محمد ﷺ وهو قول قتادة وابن زيد.[٥٣]

وقوله (للعالمين) فيه اختلاف في مسألة بعثة الرسول محمد ﷺ هل بعثته الى الانس والجن فقط، ام لغيرهم ايضا، على قولان، هما:-

اولهما:-ان النبي محمد ﷺ بعث للانس والجن، وهذا قول ابن عباس (رضي الله عنهما) ومن تبعه في هذا القول، لانه الله تعالى ارسل نبيه الاعظم محمد ﷺ لجميع الانس والجن

---

[٤٧] (الكهف:الايتان:١-٢.

[٤٨] (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج-للدكتور .وهبة الزحيلي ١٠/١٩.

[٤٩] (الجن: الاية ١٩.

[٥٠] (الاسراء: الاية ١.

[٥١] (الفرقان: الاية ١.

[٥٢] (ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدرة والحكمة والتعديل،لابي عبد الله محمد بن ابي بكر ٢٤٣/١-دار الفكر-بيروت-١٣٩٨هـ،وتفسير القرآن العظيم-لابن كثير٣٠٩/٣.

[٥٣](ينظر: الجامع لاحكام القرآن-لمحمد القرطبي ٢/١٣.

الذي بعثه الله اليهم داعيا اليه، ودليل ابن عباس(رضي الله عنه) ، قوله تعالى (ليكون للعالمين نذيرا).[٥٤]ولم يكن للبهائم[٥٥].

ثانيهما:- ان النبي محمد ﷺ للانس والجن والملائكة والشياطين ،وهو قول الفراء[٥٦]، وابو عبيدة[٥٧]، ودليلهم:-العالم عبارة عما يعقل وهم الانس والجن والملائكة والشياطين، ولا يقال للبهائم عالم.[٥٨]

والذي يبدو ان القول الاول هو الارجح والله عالم، لان المراد بـ (العالمين) هنا، هم الانس والجن، على اساس ان النبي محمد ﷺ كان رسولا اليهما ونذيرا لهما لقوله تعالى (يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين).[٥٩]

فهذه الاية الكريمة-دليل على ان سيدنا محمد ﷺ كان رسولا للانس والجن ونذيرا لهما، وانه خاتم الانبياء ولم يكن غيره عام بالرسالة الا سيدنا نوح (عليه السلام) فانه عم برسالته جميع الانس بعد الطوفان،لانه بدأ به الخلق.[٦٠]

وهذا دليل على عالمية الرسالة المحمدية والقرآن الكريم، وانها تشمل جميع الاجناس البشرية ،ولا تختص بالعرب وحدهم.[٦١]

---

[٥٤] (الفرقان: الاية ١.

[٥٥] (ينظر: الجامع لاحكام القرآن-لمحمد القرطبي ٢/١٣ وزاد المسير في علم التفسير-لجمال الدين الجوزي ٧٢/٦.

[٥٦] (ابو زكريا يحي بن زياد الفراء،كان اماما في النحو ،ثقة، من اعلم اهل الكوفة في اللغة العربية،ويعد كتابه (معاني القرآن) من اجل مصنفاته، سنة (٢٠٧هـ) . ينظر :-نزهة الالباب في طبقات الادباء- لابي البركات كمال الدين الانباري ص-٩٨،مطبعة دار النهضة —مصر-تحقيق:-محمد ابو الفضل ابراهيم ،ومعاني القرآن-لابي زكريا يحي بن زياد الفراء ١٣/١-ط٣علم الكتب-بيروت-١٩٨٣م.

[٥٧] (ابو عبيدة: وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القريشي الفهري، اشهر من تذكر ان فضائله،مات شهيدا سنة (١٨هـ) وله ثمان وخمسون سنة . ينظر: تقريب التهذيب-لابي الفضل شهاب الدين احمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي-ص٢٣١-رقم (٣٠٩٨)-مؤسسة الرسالة —بيروت-ط١-١٩٩٦م.

[٥٨] (ينظر: الجامع لاحكام القرآن-لمحمد القرطبي ٢/١٣، وتفسير القرآن العظيم-لابن كثير ٣٠٩/٣.

[٥٩] (الانعام: الاية ١٣٠.

[٦٠] (ينظر: شرح العقيدة الطحاوية-لابي جعفر احمد بن محمد بن سلامة الازدي الطحاوي الحنفي-ص١٧٦-١٧٧،ط٤-المكتب الاسلامي-بيروت-١٣٩١هـ،والجامع لاحكام القرآن-لمحمد القرطبي،٢/١٣.

[٦١] (ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم-للدكتور .محمد طنطاوي،ص١٧٧٨.

وعلى هذا يكون الرسول محمد ﷺ ايضا مبعوث الى اليهود والنصارى[٦٢]، لقوله تعالى (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا).[٦٣]

وقوله ﷺ (أُعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي قصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة).[٦٤]

وعن ابي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال : (ثم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة زفر[٦٥] ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي ارسلت به الا كان من اصحاب النار).[٦٦]

وقوله (نذيرا)

في قوله تعالى: (ليكون للعالمين نذيرا) اقتصر الباري- عز وجل-على وصف الرسول محمد ﷺ بالنذير دون البيشير، واكتفى باحد الوصفين لبيان حال المعاندين ومناسبة الكلام مع الكفار،وكذلك ان البشارة تخطر على بال السامع عند ذكر النذارة.[٦٧]

وقوله (نذيرا) أي المخوف، لانه النذير، المخوف من عذاب الله تبارك وتعالى وكل مخوف نذير ومنذر.[٦٨]

---

[٦٢] (ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لاحمد الطحاوي،ص١٧٨،وفتاوي مهمة لعموم الامة لعبد العزيز باز-ولمحمد بن صالح العثيمين ١/١٢٨-١٢٩-ط١-دار العاصمة-الرياض.

[٦٣] (الفرقان: الاية ١.

[٦٤] (الجامع الصحيح المختصر المسمى (صحيح البخاري)-للامام محمد بن اسماعيل البخاري:١/١٦٨، طبعة دار ابن كثير-اليمامة – بيروت-١٩٨٧م.

[٦٥] (زفر: يعني يهودي: ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي-للامام الحافظ ابو زكريا يحي بن شرف النووي ١/١٣٤-ط٣-دار احياء التراث العربي-بيروت-لبنان.

[٦٦] (صحيح مسلم-للامام ابي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ١/١٣٤ برقم (١٥٣) –مطبعة الشعب-بالقاهرة-وقد وجدت الحديث بلفظ اخر: عن ابي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثم لا يسمع بي من امتي اوزفر اونصراني ثم لا يؤمن بي الا دخل النار)، سنن النسائي الكبرى-للحافظ ابو عبد الرحمن بن شعيب النسائي ٦/٣٦٣-ط١ –شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده-بمصر-١٩٦٤م.

[٦٧] (ينظر: التحرير والتنوير-لابن عاشور ١٨/٣١٧.

[٦٨] (ينظر: معاني القرآن –للامام ابو الحسن سعيد بن مسعدة (الاخفش الاوسط) ٥/٨-تحقيق :الدكتور فائز فارس، وزاد المسير في علم التفسير-لجمال الدين الجوزي٦/٧٢.

وجاءت لفظة (النذير) على التكثير –يعني انذر،أي حذر وخوف.[٦٩]

قال قتادة : (بعث الله محمد ﷺ نذيرا لينذر الناس بأس الله ووقائعه بمن خلا قبلكم).[٧٠]

فالرسول محمد ﷺ هو نذير هذه الامة ،لقوله تعالى (انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذيرا).[٧١]، وقوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون).[٧٢]فهنا يأتي النذير لتهديد المشركين من عذاب الله على كفرهم وطعنهم بالقرآن والرسالة المحمدية.

ومن هنا يتضح لنا ان الله (سبحانه وتعالى) قد اتقام الحجة على خلقه بكتابه ورسوله ﷺ ، فكل عبد من عباد الله من بلغه هذا القرآن وهذا النذير فقد انذر به وقامت عليه حجة الله به[٧٣]، لقوله تعالى: (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)[٧٤]، وقوله تعالى: (قل أي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي اليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدوا ان مع الله ءالهة اخرى قل لا اشهد قل هو اله واحد وانني بريء مما تشركون)[٧٥] ، وقوله تعالى: (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما).[٧٦]وقوله تعالى (يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آيتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين).[٧٧]

---

[٦٩] (ينظر: اعراب القرآن لابي جعفر احمد بن محمد النحاس ٤٥٧/٢–مطبعة العاني–بغداد،وغريب القرآن المسمى (نزهة القلوب) للامام ابي بكر محمد بن عبد عزيز السجستاني،ص٢٠٠،مطبعة محمد علي صبيح واولاده،١٩٦٣م

[٧٠] (الدر المنثور في التفسير بالمأثور–لجلال الدين السيوطي ٢٣٥/٦.

[٧١] (فاطر: الاية ٢٤.

[٧٢] (الشعراء: الاية ٢٠٨.

[٧٣] (ينظر: الصواعق المرسة على الجهيمة والمعطلة–لابي عبد الله محمد بن ابي بكر ايوب الزرعي:٧٣٥/٢ ط٣،دار العاصمة الرياض–١٤١٨هـ–١٩٩٨م.

[٧٤] (الفرقان: الاية ١.

[٧٥] (الانعام: الاية ١٩.

[٧٦] (النساء: الاية ١٦٥.

[٧٧] (الانعام: الاية ١٣٠.

لهذا قيل : (فلو كان كلام الله ورسوله ﷺ لا يفيد اليقين والعلم معارض للنقل فأي حجة تكون قد قامت على المكلفين بالكتاب والرسول وهل هذا القول الا مناقض لاقامة حجة الله على خلقه بكتابه من كل وجه وهذا ظاهر لكل من فهمه ولله الحمد).[٧٨]

[٧٨] (ينظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة-لمحمد الزرعي ٢/٧٣٧.